الحرب فى أســـبوع

للأســـتاذ فوزى الشتوى

مفاجأة ... ولكن

كانت أبرز حوادث الأسبوع الماضى حادثة تسليم الجيش البلجيكى بأمر ملكه . وكانت الحادثة مفاجأة لم يتوقعها العالم ، بل لم تدر قيادة جيوش فرنسا وانجلترا من أمرها شيئاً . فهى مفاجأة لم يقل وقعها على نفوس القراء من المفاجآت المنتظرة . واختلف الناس فى تقديرها ، فمن قائل إنها نوبة يأس استولت على الملك ليوبولد فى ساعة فزع واضطراب أعصاب ، ولا سيما بعد ما والى الجيش الألمانى هجومه فى الليل، فلم يخلد إلى الراحة كالمعتاد . ومن قائل إنها خيانة صريحة ارتكبها الملك بالاتفاق مع الألمان . ومن فريق ثالث يقول : كانت خطوة متوقعة سار فيها الملك ليوبولد الثالث على مثال قرار قيادة الجيش الهولندى عندما أمرت جيوشها بوضع السلاح

وليس لنا أن نقرر الدوافع لهذه الخطوة ، فعلمها كما قال المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية عند الملك وحده ، ولا يجدر بنا الحكم على فعلته الآن ، ولكن هـذه الخطوة تركنا ظاهرتين مختلفتين فى أخلاق شعبين عظيمين . فبينما الشعب الفرنسى يقابلها بمرارة وغضب ظهرا فى حديث المسيو رينو ، قابلهـا الشعب البريطانى ببرود وثبات ظهرا فى حديث رئيس الوزارة البريطانية

والبرود والثبات فى قيادة الجيوش من أكبر وسائل تحقيق النصر ، فهما خلتان كبيرتان للاحتفاظ بالعقل والمنطق . وأذكر أن الجنرال فرانش قائد الجيوش البريطانية فى فرنسا سنة ١٩١٤ لم يجد كلمة يمدح بها أحد قواده فى أحد المعارك أبلغ من أنه كان مثال البرود والسكينة فى تلقى الأنباء وإصدار الأوامر

بين تسليمين

ويختلف موقف تسليم الجيوش البلجيكية الآن عن تسليم الجيوش الهولندية اختلافاً بيناً . فقد كان الجيش الهولندى يقاتل وحده ولا تحتل معه قوات الحلفاء مواقع تشد أزره أو يشد أزرها . ولم تكن المعركة حامية لم يتقرر مصيرها بعد كما هى الحال مع جيوش الحلفاء فى الشمال . ولم يكن قرار هولندا لا يؤثر إلا على موقف جيوشها وحدها، وهذا أمر لهم وحدهم حق تقريره . بينما انسحاب القوات البلجيكية من مواقعها قد أخلى ثغرات واسعة فى صفوف القوات المتحالفة

فإذا عرفنا أن من تقاليد الجيوش البريطانيـة والفرنسية ألا تلقى السلاح تبين لنا مقدار الخطأ الفادح الذى جره إلقاء الجيش البلجيكى لسلاحه . وإذا كان ثمة خطأ يسند إلى الملك ليوبولد ، فلأنه لم ينذر قيادة الحلفاء بالخطوة التى اعتزمها لتتخذ من التدابير ما يرأب الصدع الذى يحدثه انسحاب قواته

بين المساء والصباح

أضف إلى ذلك ما وافتنا به تلغرافات صباح يوم الثلاثاء من أنباء تهلل لها وجه الناس بالبشر والأمل ، فقد وصلت جيوش الحلفاء إلى بابوم ، وهى تقع فى منتصف النتوء الألمانى بين حوض نهر السوم ومدينة أراس . ومعنى هذا أن جيوش الحلفاء تمكنت من الضغط على رقبة النتوء الألمانى الممتد من هذا المكان إلى سواحل البحر . ولو تيسر لها أن تصل خطوطها بين جيشى الشمال والجنوب من هذه الناحية لسهل عليها أن تحصر هذه القوات وتعزلها عن قواعد تموينها ، وبالتالى تقضى عليها قضاء مبرماً

وذهب بعض الناس إلى أن هذه الخطوة معناها انتصار الحلفاء وبدء الخاتمة . فقد سحبت ألمانيا كثيراً من قواتها من خط سيجفريد ومن على الحدود السويسرية لتعزيز أماكنها كما أيدت مواقعها بقوات ميكانيكية هائلة هى فى الواقع صفوة القوات الألمانية التى أعدت للمواقع الخطيرة الحاسمة . ويدلنا هذا على أن احتياطى القوات المنارية قد نفد فاعتمدت على قوات رئيسية

وقد رأيت كثيراً من الناس يضعون دبابيس كبيرة فى هذا الموضع ويضغطونها بشدة على خرطهم كأنها مسامير توضع فى نعش الجيش الألمانى ، ثم يوصلونها بمواقع الحلفاء بخيوط خضراء رمزاً للسلام يسود العالم . ولكن ما كادت تلغرافات الصباح تصل بنبأ تسليم الجيش البلجيكى حتى وجم محررو الجرائد ، ووقفوا أمام خرطهم مترددين أين يضعون دبابيسهم ، وكيف يفهمون الموقف على ضوء الحوادث الأخيرة

وأنمش خطاب المستر تشرشل وتصريحات وزراء بلجيكا كثيراً من الأفئدة فعادت لها ثقتها بالنصر . وإن كان كثيرون قد قدروا أن يطول أمد الحرب . بل قال بعضهم إنه خير بأنى

من الشر ، فتتركز قوات الحلفاء فى فرنسا ويستقر القتال فى ميدان واحد بدل تشعبه فى عدة ميادين ، وتقل خطوط مواصلات الحلفاء ، وتعود الحرب إلى جبهة واحدة بدل جبهتين فقد كانت بلجيكا عبئاً على الحلفاء

سياستهم

وإذا قارنا بين الحرب الحالية والحرب الماضية وجدنا وجوه الشبه فى أسسها واحدة . فألمانيا تبدأ الحرب بقوة هائلة تضعف على مر الأيام تبعاً لقلة مواردها واستعدادها ، بينما يبدأ الحلفاء حربهم بقوات قليلة تكبر كلما طال بها الأمد . تخلف انجلترا وفرنسا امبراطوريتان واسعتان تقدمان لهما الإمداد الذى تسهله الأيام وتزيد إنتاجه

فقد بدأت ألمانيا استعدادها لهذه الحرب منذ تولى هتلر الحكم سنة ١٩٣٣ . فأخضع جميع موارد ألمانيا لهذه اللحظة. بينما بدأ الحلفاء استعدادهم من سنة ١٩٣٨ . واتخذت الخطوات الحاسمة لهذا الاستعداد فى الأسبوع الماضى عند ما وضعت الأفراد والمصالح رهن الاستعداد العسكرى . ولعل البعض يرى فى هذه الحركة تمهلاً من الحلفاء. إلا أن من يدرس مشروعاتهم واستعدادهم وسياستهم لرفاهية شعوبهم يقدر خطورة هذه الخطوة الأخيرة ومدى ما تدره على الأداة الحربية من تحسين

فالحلفاء يضعون خططهم ويعدونها لوقت الحاجة حتى إذا احتاج إليها الأمر نفذت فى الحال . ولو عدنا بالذاكرة إلى بدء اشتعال الحرب ، وشاهدنا ما فعله الحلفاء فى تنظيم وزارة الحرب الاقتصادية عند ما نفذ الحصر البحرى رأينا مدى دقتهم فى وضع مشروعاتهم

ففى ٢٤ ساعة كان الحصر البحرى على ألمانيا نافذاً ، وفى ٢٤ ساعة تقدم ممثلو انجلترا السياسيين إلى الدول المحايدة بقوائم تبين حاجة كل منهم من الخامات المسموح لها بالمرور من الحصر البحرى والتي لا تترك لهم فائضاً يمكن لألمانيا أن تعتمد عليه . لو رجعنا إلى هذه الحوادث استطعنا أن ندرك كيف يسير المشروع الجديد وكيف يدعم إعداد الحلفاء العسكرى

كيف نساعدهم

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا السبيل الولايات المتحدة وما تعده لتموين الحلفاء . فإن الخطوات التى اتخذت حتى الآن لا تتجاوز أن تكون مناضلة لإقرار مبدأ المساعدة وعلى أية صورة يكون . وقد ينتهى بدخولهم الحرب بقوات حربية ، وليس بمعتاد حربى فقط . وهى لم تقدم إلى الحلفاء مساعدة جدية حتى الآن بل أن مصانعها تستعد لمواجهة الحالة ، ولم يتعد إمدادها عدداً قليلاً من الطائرات . ومن يعرف براعة الأمريكيين فى تنظيم أعمالهم ، وتشغيل مصانعهم لإنتاج كميات وفيرة ، يدرك مدى السيل الذى يصل إلى الحلفاء كل فترة قصيرة

والغالب أن يستقر الموقف الحالى فى البلجيك على شيئين : فإما أن ينسحب الحلفاء ويخلوا البلجيك وينقلوا قواتهم إلى فرنسا عن طريق البحر ، وإما أن يستقروا فى هذا الميدان بعد أن يمدوا قواتهم هناك بقوات جديدة على أن تكون صلاتهم عن طريق البحر . وأعتقد من سير الأمور حتى كتابة هذه السطور أن الحلفاء ينسحبون من بلجيكا ويحولون ضرباتهم من فرنسا حيث أعدوا خطوط قتال قوية تسهل عليهم الاحتفاظ بمراكزهم إلى أن تتحطم ألمانيا اقتصادياً أو عسكرياً

الخطوة التالية

أما فى الميدان الجنوبى فإن جنود الحلفاء فى حالة حسنة وفى موقف عسكرى قوى يعملون على تطهيره من القوات المعادية . ولا يمكننا أن نجزم بخطوة ألمانيا التالية بعد استقرارها فى الميدان الشمالى فى البلجيك : هل تهاجم الجبهة الفرنسوية الشمالية الممتدة على نهر السوم إلى لونجوى ؟ أم تهاجم فرنسا باختراق حدود سويسرا ؟ أم تتجه اتجاهاً آخر للاستيلاء على موارد جديدة بالهجوم على البلقان ؟

فالواضح من الاستقرار الأخير فى جبهة فرنسا الشمالية أن قتالها يطول وهذا ما لا تحتمله الموارد الألمانية . فإذا هاجمت فرنسا باختراق سويسرا عن طريق مقاطعة بازل فلا ينتظر أن تصيب فيها من التقدم ما أصابته فى بلجيكا، لأن الحلفاء لن يلدغوا من جحر مرتين . أما فى البلقان فقد أعلنت الروسيا حرصها على الاحتفاظ بالحالة الراهنة هناك وإلا فإنها تحارب المعتدى . ولهذا فينتظر أن نرى فترة هدوء ونضال سياسى لتحويلها عن رأيها ، وإن كنت أعتقد أنه ليس من مصلحة ألمانيا أن تشتبك فى جبهتين كما قلت فى مقالى السابق .

فوزى الشترى
بكالوريوس فى الصحافة